طبعت بمطبعة الآباء الكبوشيين - بيروت

بين الآرامية والعربية

توطئة

اعني بالآرامية السريانية وتعرف في بلاد الرافدين بالكلدانية، واقر باني عندما اقدمت على المقارنة او المفاضلة بين اللغتين العربية والآرامية ايقنت بالخطر المحدق وشعرت في اقصى باطني باني اخوض موضوعاً خطيراً قد لا يبعد ان ينقلب وبالاً عليّ فالقي فيه حتفي لان الحكم الذي ساصدره عن عقيدة راسخة وعن سلامة الطوية على لغة الضاد لن يعتم ان يسبب رد فعل مبيد يخرج بنتيجته حكم الاعدام عليّ. وذلك لاني مهما بذلت من الجهد سأظهر حتماً بمظهر المتحامل جوراً على لغة العرب وهذه عند السواد الاكبر من سامعيّ الكرام وديعة مقدسة لا يرضون بديلاً عنها المهج الغاليات من حيث انها لسان آبائهم. وهل في الكون شيء اعز مما يتركه لنا الآباء في ارض الجدود. وما الوطن نفسه الا لغة وتربة قد طبع قرانهما الدهر بطابعه وطابع الدهر فوق المشيئات والمؤهلات. اما ان لغة الضاد هي لسان جدود السامعين الكرام ففيه نظر. واما انهم راضون عنها

هائمون بها لا يرون غيرها شأن كل مغرم فهذا ليس لاحد حق المناقشة فيه لانه يرجع الى الاختيار او الحب. والحب من المحرمات سيدها. وحول المحرمات سياج مقدس لا يجوز لاي مخلوق كان ان ينتهك حرمته. ان كل ما اسأل الاجلاء الذين شرفوني اليوم ليستمعوا الى كلامي القاصر ان يمهلوني ولا يصدروا عليّ الحكم قبل الاصغاء الى افادة حالي. وهذا مايطلبه الانصاف والانصاف اصل البرّ.

اني في بحثي هذا سوف لا اتطرّق الى ما يسمونه جمال اللغة او بالاحرى طلاوتها اعني بها عذوبتها. لان الجميل واللذيذ كما لا يخفى شيء نسبي يختلف باختلاف الاشخاص والاذواق وهو اقرب الى الخيال والعاطفة منه الى الحقيقة والواقع. كما ان بحثي سوف لا يتناول موضوع القدم من اللغتين بمعنى اي الشقيقتين بكر الاخرى واية منهما اعرق في الزمان والسن من الثانية فهذا موضوع بعيد القعر صعب السبر لا يسعني في هذا الموقف المحصور خوض غمراته فاتركه لاي من العلماء تحدثه نفسه بركوب المجازفات وسلوك المغامرات. وهي لعمر الحق اكبر مغامرة ان يحاول المرء حل ما غمض واستعصى من دفائن التاريخ في بطون العصور. بيد انه يجوز لي وانا مار بطريقي ان اسأل محبي العربية المعتزين برايتها هل بيدهم وثيقة تاريخية او أثر مثبت

من اي نوع كان يشير الى شيء من لغتهم في القرن الخامس عشر قبل ميلاد السيد المسيح . ولنا شواهد عديدة تنطق بحقيقة اللغة الآرامية واستفحال امرها في ذلك التاريخ وقبله اقتصر منها على سبيل لفت النظر على ذكر آية وردت في التوراة . والتوراة مهما قال فيها المعاندون المكابرون لا تزال اثبت كتاب هبط ارضنا واصدق مصدر يرجع اليه التاريخ ان لم نقل شيئاً آخر . والآية التي عليها يدور كلامنا تأتي رغم قصرها بمثابة جملة كاملة لها في نظر المتبحرين اهمية وقيمة كبرى لما اشتملت عليه من دقائق اللغة السريانية وقواعدها الحالية. وقد خرجت بشكلها الآرامي الناصع الى جميع اللغات التي ترجمت اليها التوراة من يونانية ولاتينية وغيرهما . وهي تلك العبارة المقتضبة البديعة التي وردت في سفر التكوين وذلك عندما اقام لابان ويعقوب نصبهما التذكاري من الحجارة الصلبة لتخليد ذكر الميثاق الذي تمّ بينهما وقد دعي : يغرسهدوتا : اي نصب الشهادة.(١) وقد اتت العبارة بلفظها السرياني الشرقي الاصلي. فان يغرسهدوتا هذا بقصره الكلي ينطق بافصح نوع بثلاث قواعد من قواعد اللغة السريانية كما هي اليوم . اعني ان العبارة تحتوي على قاعدة الاضافة بدون دالث وعلى قاعدة جزم الاسماء مع قاعدة فتح ما

---

(١) سفر التكوين صح ٣١ عدد ٤٧

قبل الحروف الحلقية. وفي ذلك ما فيه من واضح الاشارة ان لم نقل بينة الى ما للغة السريانية كما وصلتنا من قدم وغابر عمر.

وبعد هذه الملاحظة اقول ان بحثي سينحصر في المقارنة بين اللغتين العربية والآرامية في وضعهما الحالي وسيتناول المفاضلة بينهما من جهة التركيب المنطبق على المنطق ومن جهة متانة التعبير وثبات القواعد. والموضوع واسع سحيق وهو اشبه شيء بيم خضم لا يعرف له ساحل. وسابذل قصارى جهدي في لم اطرافه وارجاعه الى حدود معقولة وحصره في مواد او ابواب رئيسية تغنينا عن التبسط في التفاصيل وعن سرد كل واردة او شاردة من كلتا اللغتين.

وساقسم خطابي الى قسمين يتناول الاول منهما تعيير اللغة العربية للارامية وتهجمها عليها. ويتناول القسم الثاني هجوم اللغة الارامية على العربية وتقريعها لها على شوائبها. ولما كان الطريق كما اسلفت محفوفاً بالاخطار يتربصني العطب في آخره فلا يسعني الا ان اقصد وجهكم واعتصم بحبل سخائكم لاجتاز المفاوز سالماً غير مهشم. والله في عون كل ضعيف ناخ على بابه.

القسم الاول

هجوم اللغة العربية

بماذا يعيّرنا العرب ؟..

يعيّرنا العرب اولاً بان لغتنا الآرامية ناقصة في ابجديتها يعوزها عدة احرف هجائية لا غنى عنها وهي الجيم والضاد والظاء واللام الف .

فاجيب : ان حرف لام الف في العربية ليس له معنى البتة لانه قائم من حرفين معلومين لا ارى موجباً او مبرراً لتركيبهما واخراج حرف ثالث منهما . ولماذا لم يدخل العرب ايضاً حرف كاف الف او نون الف الخ... اما الجيم والضاد والظاء فان عدم وجودها في الآرامية منطقي لان الآرامية لغة ساميّة وفي اللغات الساميّة لا اثر للاحرف المذكورة فانّى اتى بها العرب لا ادري . وكل ما اعلمه ان الجيم مقلوبة عن الكمل الآرامية وكفانا شاهداً على ذلك حلولها محل الجيم لدى عدة قبائل عربية عريقة في القدم ونجدها ايضاً قد احتلت مكان الجيم لدى عامة القطر المصري من اقصاه الى ادناه حيث يقول الشعب : گاش ، گمعة ، گليل وگمل كما في السريانية عوض الجمل في العربية . اما الضاد والظاء

ففضلاً عن كونهما غير ساميتين فان العرب قد حاروا في ايجاد الصوت او اللفظ الحقيقي لهما مما يدل على ان الحرفين دخيلان. فان سكان سوريا ومصر مثلاً يلفظون الضاد : داد . وهذا ليس بالمعقول . اما عرب العراق فانهم يلفظونها ضاد وهـذا اقرب الى الصواب .

وبامكاننا هنا عكس القضية اي الآية ومطالبة العرب بحرف P الذي هو دعامة من دعائم اللفظ في اللغات كافة من سامية وغيرها وهو معدوم في العربية. ثم اين الكاف اذا كانت الجيم اصلية . هذا ونضرب صفحاً عن ذكر القاف والذال والضاد والظاء التي قد فقدت لفظها لدى سواد المصريين والسوريين .

يعيرنا العرب ثانياً : بان اللغة الآرامية لم تحافظ على اصولها بل قد انحرفت انحرافاً معيباً عن مبادىء اللغات السامية بدليل ان الياء مثلاً لا تلفظ عند السريان بل تأتي مائتة اعني ساكتة في المخاطبة من الافعال والضمائر فيقولون قوم (ي) عينك (ي) ولا نسمع للياء صوتاً على الاطلاق .

فاجيب : ان هذا يدعى تطوراً او تحمل اللغة . والتطور طبيعي ضروري ليس في اللغات فحسب بل في دوائر الموجودات كافة وحتى في الجماد حيث كل شيء في تطور وتكامل مستمر نلمس آثاره في كل مكان وفي كل يوم . وعـدم التطور يدعى

التحجر او الهمود اعني الموت . فان السريان اذا اسقطوا اليـاء لفظاً وقـد احتفظوا بها كتابـة فما فعلوا الا لغاية اي لسهولة المأخذ وطلاوة النطق ولنا شواهد على ذلك في معظم اللغات . خذوا مثلاً il est الفرنسية .٠فان السين او S فيها قد سقطت لفظاً وحفظت خطاً . اما ان اللغة العربية لم تسقط شيئاً ابـداً فهذا دليل على عدم تطورها وتحسنها ويقيم البينة عـلى تحجرها وركودها في مكانها غير قابلة لايـة حركة اصلاحيـة . وجميع اللغات قد اصلحت وتصلح على مرّ الايام وكر الاعوام . وليس لاكاديمية الاربعين الفرنسية الجليلة من غاية الا السهر على تطور لغة الفرنسيس وادخال الاصلاحات المستحبة عليها . وبوسعنا ان نقلب هنا ايضاً الآية ونقول للعرب : وانتم ماذا فعلتم بياء المخاطبة في الضمائر وفي الماضي من الافعال وكيف جاز لكم اسقاطها تماماً حيث تـكتبون: انتِ اوعينكِ بلا ياء. وكذلك قمتِ وفعلتِ بلا ياء . فان الياء تلحق المخاطبة في جميع ازمنة الفعل ونجدها في المضارع : تفعلين وفي الامر افعلي . فلِمَ لم تحتفظوا بهـا انتم في الماضي كما في الآرامية. وفي انتِ وعينكِ كيف يتميز المؤنث من المذكر وقد سقطت اليـاء . والعبرة هنـا بالكتابة وليس بالحركات يوم لم يكن ثمة حركات ولما تدخل الضوابط على اللغة .

يعيرنا العرب ثالثاً : باننا لم نحتفظ بالحركة الخفيفة التي حرصوا عليها في لغتهم مثال ذلك : اننا نقول : قْطَل باسكان القاف ولا نقول َقطـل بتحريكها كما في العربية. ونقول ايضاً َش (ن) تا باهمال النون لفظاً عوضاً عن شنتا كما في لغتهم.

اجيب : انه ليس من المؤكد الثابت بالبرهان ان في الاصل كان َقتَل وليس ْقتَل. والذي يثير ريبتنا في الامر ان العرب يحركون الحرف الاول من الكلمة على كل حال ولا يقبلون السكون في البدء على الاطلاق. ولسنا نجادلهم في هذا اي هل هم على صواب ام على خطإ فيما يذهبون اليه من اسكان الحرف الاول ابداً . ولكن من يضمن لنا انهم ليس لهذه الغاية نفسها اعني لترويج قاعدة عدم اسكان الحرف الاول قد ادخلوا الحركة الخفيفة على بدء الكلمة . ولنفرض َجدَلا ان الحركة الخفيفة اصلية وانها وجدت منذ الاول في اللغات السامية فان اهمالها في اللغة الآرامية انما هو من قبيل ما نعتناه بالتطور الذي لا مفرّ منه وان الداعي اليه كان اصلاح اللغة وتحسينها. لان الحركة الخفيفة اذا كانت انيقة ومرغوباً فيها في بعض الاحيان فانها متى ما تكررت وتوالت على نفسها دون ما فاصل انقلبت عبئاً على الكلام وكان وجودها جدّ مستهجن فالافضل حينئذٍ نبذها وعدم الابقاء عليها حباً بسلامة التعبير. واقرّ باني لا اعرف لغة غير العربية

تتعاقب فيها خمس بل ست حركات خفيفة دون ما ساكن او مشدد او طويل كما في : ضَرَبَهُماَ او قَتَلَتْهُماَ اما في الآرامية فان الحركة الخفيفة تسقط اذا كان وجودها ثقيلاً يمجه الذوق السليم وتظهر ان اكسب وجودها الكلام رونقاً وطلاوة وهذا ما يفرضه المنطق والذوق معاً . مثال ذلك نقول ش(ن)تا وليس شَنَتَا تحاشيا لالتقاء ثلاث حركات خفيفة متوالية : ونقول شنة بابراز النون وتحريكها لان التاء قد سكنت وزال بذلك عارض الحركة الخفيفة المستهجنة .

يعيرنا العرب رابعاً : بان لغتنا السريانية فقيرة ضيقة لا تفي بالمرام ولا تكفي للتعبير عن كل المواضيع او الابحاث البشرية بينما يتمتع لسانهم الاشم بثروة لا حد لها ولا عد لمحتويات كنوزها

اقول : ان الصاق شائبة الفقر باللغة السريانية ادعاء باطل بل هو خروج على الحقيقة الناصعة والواقع الثابت . والتاريخ خير شاهد لنا . فقد بحث السريان بلغتهم البديعة عن جميع المعارف البشرية فضلاً عن الالهية . وكتبوا في الفلسفة والمنطق والعلوم الطبيعية برمتها من طب وعلم النبات والحيوان الى علم طبقات الارض الى علم الافلاك ولم يفتهم موضوع او بحث الا طرقوه وابدعوا في عرضه . وانها لحقيقة تاريخية ثابتة لا يختلف عليها اثنان ان العرب يوم هبطوا هذه الديار قرأوا على السريان وعنهم

اخذوا معظم معارفهم التي انزلوها بعد ذلك بين دفات اسفارهم ومن يجهل تلك زمرة الاطباء والعلماء السريان المشارقة من امثال بختيشوع ويوحنا وحنين الذين سادوا الحياة الفكرية وقادوا الحركة العلمية الادبية في عاصمة الرشيد بغداد في القرنين الثامن والتاسع للميلاد. واليوم ايضاً وقد قضي واحرقتاه على اللغة الآرامية وطمست اعلامها بذنب اصحابها انّي اعرف كتّاباً من السريان لا يزالون احياء يرزقون بوسعهم ان يتحدّوا اي اديب عربي كان ان ينازلهم كل بلغته في حلبة التاليف والانشاء في جميع المباحث وابواب الادب

ثم ان العرب يعنون بغنى لغتهم وسعتها كثرة المترادفات فيها فيفاخرون الكون بان عندهم مثلاً لليد اذا توسخت نحو اربعين تعبيراً. فاذا توسخت بمسها الزيت اطلق عليها تعبير. واذا توسخت من الدهن اطلق عليها تعبير آخر واذا تلوثت من الوحل تعبير آخر. واذا تدنست من اللحم او الزفت فآخر وآخر وهلم جرا. ثم انهم يفاخرون الامم ايضاً بان في لسانهم للجمل مثلاً زهاء مئتي اسم او تعبير.

اقول: هل هذا كله من المنطق او الذوق في شيء. أليس بالاحرى من الخطل والشطط الى درجة بعيدة. فهل يجيز المنطق بان يطلق على مسمى واحد معلوم محدود اكثر من اسم واحد.

واذا كانت اليد وحدها عند توسخها يطلق عليها اربعون تعبيراً فاي منا له متسع الوقت او الحذق الكافي لحفظ الاربعين تعبيراً. او ما هو يا ترى الشيء الذي يوحي ذاكرتنا ويصونها من الخطإ فلا تخرج عن جادة الصواب عند وصفها اليد المتوسخة وتخلط بين المتوسخة من اللحم او الزفت او الفحم فتضع الواحدة مكان الاخرى.

وليس يخاف على احد ان الجمل كان ولا يزال كل شيء لعرب البادية. فيركبونه ويحلبونه ويأكلونه ويغزون عليه ويكتسون بوبره وما الى ذلك. غير ان هذا كله لا يبرر اطلاقهم مئات الاسماء عليه. لان البعير وان كان آلها يعبد فهو ليس الا شيئاً واحداً معلوماً محدوداً. فيكفي والحالة هذه للاشارة اليه وتشخيصه اسم وتعبير واحد. اني افهم واقبل ان يطلق على الجمل اذا كان اعور اسم. واذا كان اجرب اسم آخر. واذا كان اعرج فآخر. واذا كان اسود او اشهب فآخر وآخر. ولكني لا افهم ولا اقبل غير ذلك مطلقاً. لان الجمل حيوان معلوم مهما سمت مرتبته ومن فاه بلفظ الجمل امامنا فقد افادنا تماماً وقد ادركنا المقصود فلا حاجة الى تعدد الاسماء. وعليه فان كثرة المترادفات في العربية او في اية لغة كانت ليست ثروة بل بالاحرى فقراً اعني عجزاً او قل سخفاً. وكل يعلم كيف دخلت اسماء الجمل

وسائر المترادفات على لغة الضاد . كان العرب قبائل وعشائر . ولكل قبيلة تعبير بالنظر الى معظم الاشياء يختلف عن تعبير جارتها . وعندما لمّ شعث تلك القبائل وصرنَ الى امة عظيمة او قل دولة مترامية الاطراف ودونت لغة العرب في بطون الاسفار فعوض ان يضبط علماؤها مفرداتها ويوحدوها فينتقوا الصالح منها وينبذوا ما لا يصلح بل يبهظ كاهل اللغة فقد ادخلوها على بَكرة ابيها . فلا عجب والحالة هذه اذا تضخمت معاجمهم وتعددت مفرداتهم وطغت مترادفاتهم حتى قاموا يفاخرون اليوم الآنام بها . وان في تعدد المترادفات ايضاً من المحاذير ما لا يخفى على ذوي البصائر . فهب ان فضولياً مرّ وهو يقلب معجماً باسم غريب غير مألوف للبعير او للحسام ونال حظوة منه فقام يستعمله في معرض كلام او مقال فهل ثم من حق لذلك الفضولي ان يطالبنا بمعرفة التعبير الذي عثر عليه على كل حال . لا اظن . ولكن ماذا تقولون عن موقف عالم بالعربية يسأله طالب مدرسة ابتدائية معنى تلك العبارة ولا يكون بمقدوره ارضاء الطالب في الحال — واي منا يلم بخمس المفردات العربية — فكم يكون خجل العالم عظيماً ومن لا يرى الحيف الذي ناله ظلماً . وبهذا ما يقع يومياً ولا مناص منه ازاء المفردات العربية التي لا يحصرها عدّ . ثم ان العرب يفاخرون السريانية بكثرة المتناقضات في لغتهم

ويراد بذلك العبارة التي تعني الشيء وضده كلفظة جليل التي تعني الكثير والقليل وكالفعل الذي يعني الدخول والخروج او الصعود والهبوط . ليسمح لي ان اصرح بان هذه المفاخرة لا تستحق الرد ولا الاعتبار لما انطوت عليه من الركاكة ومن فساد المنطق والذوق .

يعيرنا العرب خامساً : بان ليس للسريانية نحو . والنحو فلسفة وعلم مافوقه علم .

اقول : اقر بان ليس للسريانية نحو واعلن ذلك على الملاء وانادي به بملء شدقيّ ضد مولّدين متطرفين من السريان الذين للصمود في وجه العرب وصدّ غارتهم قاموا يشحذون الفكرة ويجهدون النفس ليستنبطوا لنا نحواً او لا اقل من ان يدللوا بان لنا نحواً يضاهي النحو العربي . اعود اكرر واجزم بان ليس لنا نحو من شاكلة نحو العرب اعني به ذلك العلم الذي يرجع كل كلمة دخلت في التركيب الى احدى الحالات الثلاث : الرفع. النصب. الجر. ويربطها بها ربطاً محكماً وانّي لاحمد الله حمداً جزيلاً صادقاً على حرماننا من النحو ومن ويلاته .

اقول ذلك اولاً لان النحو ليس طبيعاً بل هو علم مختلق مصطنع يكلّف صاحبه اضعاف ما يكسبه اياه . واسالكم

حفظكم الله هل من المعقول ان يكون عرب البادية وهم يضربون في البطحاء الواسعة بين الناقة والعنزة قد فكروا في الحالات الثلاث من كل كلام بدر منهم. وهل كان باستطاعتهم ان يحافظوا عليها في غدواتهم واليوم في القرن العشرين نرى ليس عرب البادية فحسب بل عرب الاقطار باجمعها قد ضربوا بالنحو عرض الحائط وحطموا اصفاده والقوا بها الى كل ريح. ونعم ما فعلوا. وهل بمقدور احدنا عند كل كلمة يفوه بها ان يفكر قبل كل شيء بضبط حالتها وبارجاعها حتماً الى رفع ونصب وجر.

اقول انه ليس طبيعياً ابداً ان يقول ابن الشعب في حديثه: جاءني كتابٌ. واخذت كتاباً. وقرأت في كتابٍ. هذا ليس باستطاعة ابن الشعب. وابن الشعب هو صاحب اللغة وهو الذي اوجدها لتكون اداة تنقل فكره. وكل اداة اقتضى ان تكون قريبة المنال سهلة الاستعمال لا تعيق العمل بل تنشطه وتدنيه من الهدف. وعليه فقد نفر ابن الشعب من حالات النحو المصطنعة ونبذها وهو يأبى ان يقول جاءني كتابٌ واخذت كتاباً وقرأت في كتابٍ بل يكتفي بالقول: كتابْ بالسكون في الحالات الثلاث وهذا كافٍ لنقل فكره وهو ما نجده في السريانية. وان ابن العرب لم يقف عند هذا الحدّ بل تعدّاه الى ابعد من ذلك حتى طبّق كلامه تماماً على الآرامية فقال:

كِتابَكْ بفتح الباء واسكان كاف الضمير طبقاً للسريانيـة (١) ويأبى ان يقول: كِتابُك او كِتابِك في الحالات التي يفرضها النحو العربي . وللمؤنث كِتابِكْ كما هو في السريانيـة ايضـاً. واني لاجدني في هذا المعرض امام حادث غريب مدهش حقاً وهو ان المتكلم بالعربية يجري مع السريانية بل ويقلدها تماماً الى آخر ما فيها من دقائق لغوية . فهو في الاسماء الخمسة مثـلاً يقلع عن الفتح لانـه لا يجده في السريانيـة وينهج الضم فقط فيقول : ابوك . اخوك . ابونا في كل الحالات كما في السريانية. وليس اباك او ابيك كما تفرضه العربية في حالات معلومة .

اقول ثانيـاً : ان النحو عوضاً ان يكسب اللغـة رونقاً او مرونة يكون بالعكس ويلاً عليها ويقتلها ويزيد عـدد الناقمـين عليها . كيف لا وقد شيّد بنا النحو العربي ولما ننـل قسطنا منـه . واي عالم يجرؤ على ان يؤكد لنا انـه قـد ختم النحو واحاط بجميع ابوابه ودقائقه ونرى كل يوم عالماً يكفر عالماً في هـذا الصـدد . واي منـا نسي موقف بعض العلمـاء من نحو الاب انسطاس العلامة البغدادي عضو الاكاديمية الملكيـة في مصر . وهل من المروءة ان نقضي عمرنا في درس النحو العربي دون ان نأتي يوماً على آخره ونحن في عصر يحتم علينا درس مئـة علم

---

(١) حسب اللفظ السرياني الشرقي الذي عليه الاعتماد .

آخر اجدى للحياة . اني اعرف كاهناً تعلّم اللغة الانكليزية في ظرف ستة اشهر . والايطالية في اربعة اشهر . وقد مرّ عليه ثلاثون حولاً في دراسة اللغة العربية ولم يتقنها . فلنعمل هنا بإذنكم قليلاً من الحساب. ولنفترض ان الكاهن المومأ اليه تعلّم الانكليزية ليس في ستة اشهر والايطالية في اربعة اشهر بل تعلّم كلا منهما في بحر سنة كاملة . فتكون النتيجة انه كان بوسعه ان يتعلم لغات اوروبا كافة بمعدل لغة عن سنة في مدة الثلاثين عاماً التي صرفها في دراسة اللغة العربية وهو لم يرم الهدف منها . ولا عبرة باعتراض البعض وملاحظتهم ان في اليونية ايضاً واللاتينية نحواً من طراز النحو العربي . فان ماقيل عن العربية ينطبق ايضاً ولو بمقياس اوطاء على تينك اللغتين . وان النحو الجائر هو الذي يقتل الحياة فيهما وينفرّ الرواد او الطلاب عنهما .

الى هنا هجوم اللغة العربية على الآرامية وقد افرغت الاولى كل سهم في كنانتها لاقتحام معاقل الثانية واستئصال شأفتها وبذلت هذه جلّ مستطاعها في الذود عن حياضها . واذا كانت توفقت في دفاعها او اخفقت ادع الحكم فيه للسامعين الكرام .

القسم الثاني

هجوم اللغة الارامية

قد استمعتم ايها الكرام الى تعيير اللغة العربية للآرامية وشهدتم غارتها تلك الشعواء عليها . فمن العدل والانصاف ان نسمع الآن تقريع اللسان الآرامي للغة الضاد وهو ان فسح له المجال سيحمل عليها حملة عنيفة تهزها هزاً . وان الغارة التي تشنها لغة السريان على لغة بني قحطان سوف تتناول جميع نواحيها وهي ستمسك بتلابيبها وتناقشها الحساب على كل ما بيدها مبتدئة بالصرف ومنتهية عند آخر حدود النحو. فهي كما ترون حرب عوان سجال يمطر فيها كل من الفريقين الآخر ضربات وتكثر فيها الاصابات بل الوفيات .

اولا الصرف

ان من الامور التي تستوقف النظر لاول وهلة في الصرف العربي الهمزة هذا الشيء الغريب الذي لا ندري كيف ندعوه : حرفاً ام حركة ام صوتاً ام شيئاً آخر مخلوق ضئيل حقير ينثر في طريق اللغة العربية عقبات تكاد تكون كأداء لا تقتحم ويكثر ويضخم الصعوبات فيها الى درجة تخرج عن حدود

العقل والمروءة. واقرّ صاغراً اني بالرغم من انكبابي على دراسة لغة الضاد منذ ست وثلاثين سنة لا اجرؤ على تحبير شيء تدخله الهمزة او اسم العدد وسيأتي شرح ذلك الاوالزم كتاب الصرف مفتوحاً فارجع اليه في كل صغيرة وكبيرة. فمن اعلال الهمزة الى كتابتها الى تحريكها او اسكانها كلها اشواك وعثرات تنغص عيش الكاتب وتفسد عليه السبل.

فاذا وقعت الهمزة ابتداءً كتبت بصورة. واذا توسطت وهي ساكنة رسمت بشكل آخر. واذا توسطت وهي متحركة وما قبلها متحرّك صورت بنوع آخر. واذا كان ما قبلها ساكناً فبنوع آخر. واذا وقعت بين الف وياء فبنوع آخر. واذا تطرفت بعد ساكن فبنوع آخر. واذا تطرفت ولحقتها تاء التأنيث فنوع آخر بل انواع. وهذا غيض من فيض من تحف الهمزة ونحن في معرضنا هذا لم نذكر شيئاً من اعلالها. وما ادراك ما الاعلال وما محسناته في العربية وفضله على البشرية. فانّى لنا والحالة هذه ان نلمّ بحقيقة الهمزة. والواقع انه لا يكاد يوجد اثنان يتفقان على كتابة الهمزة. ففي كلمة هيأة مثلاً تكتب الهمزة بصورة الالف او على كرسي الياء. وكلمة مائة تكتب ايضاً على نوعين وكلا النوعين مغلوطان. فمن الخطإ ان تكتب الهمزة على كرسي الياء بدون الف لان اصلها بالالف حقيقية

مفتوحة كما عند السريان ونسمع الكثيرين يلفظونها ـَمائة . واذا رسمناها على كرسي الياء بعد الف وقعنا في الخطإ ايضاً لان الالف لا تقبل ما قبلها مكسوراً فلا يجوز والحالة هذه ان نقول ـِمائة . وان لفظناها ـَمائة كما في السريانية وجب تصوير الهمزة وحدها بعد الالف الطويلة كما في قراءة . دناءة . وهذا مما لم يأخذ به احد . اما السريانية فانها بريئة من هذه المشاكل باسرها لان الالف فيها تكتب ثابتة . وان وقع لها ان تتصرف في حالتين او ثلاث مشت على قواعد معلومة ثابتة لا تترك مجالاً للالتباس او الاشكال مطلقاً .

ثم اني لا ارى مبرراً لتسمية الفعل مجهولاً كما جاء في الصرف العربي . لان الفعل المجهول على حدّ تعريف العرب له هو الذي حذف فاعله ولم يذكر فناب عنه المفعول . مثال ذلك جُرح يوسف . ولكن ما العمل اذا كان الفاعل معروفاً بل ومذكوراً كما في : اهين المعلم من تلاميذه . او ضَرَبَ اللصُ يوسفَ فجُرِحَ هذا جرحاً بالغاً . فهل يجدر او يعقل ان نسمي الفعل هنا مجهولاً وقد عرف فاعله اي مسببه الحقيقي . الا اذا اريد مداعبة الالفاظ فقط من غير الاكتراث بالمعاني . ومهما كان من الامر فلا يجوز في حال من الاحوال ان ندعو الفعل مجهولا لان ليس الفعل مجهولا اي غير مذكور على حدّ تعريفهم بل

الفاعل . فوجب والحالة هذه ان نقول : فعل المجهول اي فعل الفاعل المجهول .

وما معنى الضمير في العربية ؟ ان الضمير في عرف كل الشعوب وواضعي كتب الصرف هو ما حلّ محل الاسم وناب عنه . فكيف جاز للعرب ان يدعوا نائب الاسم ضميراً اي مضمراً اعني غير ظاهر وقد يكون ظاهراً بارزاً بروز الاسم نفسه. فهل انت مثلا ونحن واياك مضمر غير ظاهر ام بالعكس .

ثم ما معنى الاسم الموصول في العربية . فهل يجيز المنطق ان يدعى الواصل موصولاً والعكس بالعكس . لان الاسم الموصول هو بالحقيقة ما يصل الجزء الثاني من الكلام بجزئه الاول . مثال ذلك . قتِل الرجل الذي حيّانا امس . فان لفظة: الذي : ليست الموصولة بل الواصلة بين الرجل وما بعده وهذا واضح وضوح الشمس. فاطلاق اسم الموصول على الواصل تفريط في المعنى وتحدٍ للمنطق . وكان الاصح ان يقال اللفظة او الاداة الواصلة وليس الاسم الموصول البتة . وان حكاية الاسم الموصول عند العرب لشيء يضحك الثكلى. فانهم اذا ارادوا تثنية : الذي او التي : لا يكتفون بعلامة التثنية الف ونون او ياء ونون بل يزيدون على كل من اللفظتين لاماً اخرى فتحصل لامان وذلك للدلالة على ان ثمة شيئين . فلماذا لو تبعوا المنطق لا يكتبون :

الذين: اذا كانت لعشرة رجال بعشر لا مات الدلالة على الرجال العشرة.

وقد بلغنا باباً من ابواب الصرف الذي يخبط فيه العرب خبط عشوآء بكل معنى الكلمة اعني به اسم العدد. واني اخاطب هنا تلك الفئة من المعتزين بلغتهم الذين يطالبون لها بالمنطق والذوق وينادون بها مبنية على الفلسفة. فاقارعهم باسم الفلسفة والمنطق نزولاً عند رغبتهم.

معلوم ان التاء الزائدة وضعت في العربية كما في الآرامية للتأنيث وهي حيثما وجدت دلّت على المؤنث. ولكن قد شاءت فلسفة العرب ان نقول اربعة رجال واربع نسآء اي بالتاء الزائدة للمذكر. وبدون تاء المؤنث. وقد اتت فلسفتهم اجسم من هذا حيث يقولون ثلاثة اولاد وثلاثون ولداً. ومعلوم ان المعدود يجمع في كل اللغات من بعد الاثنين الى آخر الاعداد ما عدا في العربية حيث يجمع معدود الثلاثة الى العشرة ولا يجمع معدود العشرين والمئة والالف وما فوق. وكل هذا باسم المنطق. ثم ان المعدودات تكون مجموعة مجرورة بعد الاعداد من الثلاثة الى العشرة وتكون مفردة منصوبة مع احد عشر وتسعة وتسعين وما بينهما. ومع المائة والالف تبقى مفردة مجرورة. وكل ذلك طبقاً لاصول الفلسفة. ثم ان حكم العدد المركّب ان يؤنث الجزء الاول ويذكّر الجزء الثاني مع المذكّر

ويذكر الاول ويؤنث الثاني مع المؤنث. ثم ان شين عَشَرَة تكون مفتوحة في المفرد وساكنة في المركب وشين عشر تكون ساكنة في المفرد ومفتوحة في المركب. وكل هذا باسم المنطق والذوق. واي منا ليس بمستعد ان يطوي ايام حياته في دراسة هذه البدائع ويضحي في سبيلها كل غالٍ وكل عزيز يملكه.

اما في السريانية فنحن بغنى عن جميع هذه التضحيات لان الاعداد فيها تسير سيرها المعقول دون ان تهب عليها اية ريح خبيثة او يهزها شيء غير مألوف مقبول. فتذكر مع المذكر وتؤنث مع المؤنث وتبقى مفردة مع المفرد وتجمع ابداً مع الجمع وما الى ذلك.

وماذا اقول عن مصادر الافعال الثلاثية في لغة الضاد. كيف تصاغ يا ترى وما قاعدتها؟... قاعدتها ان ليس لها قاعدة اي انها تعرف وتضبط من السماع دون ان يكون ثمت قياس وهذه لغة الفلسفة. وقد صيغت المصادر بكل شكل خطر على بال احد العربان فلا عجب اذا تعددت صيغها واتت ما لم ينزل به الله من سلطان: ضرب ضرباً. قام قياماً. خرج خروجاً. كتب كتابةً. مدّ مدًّا. دعا دعوةً. فرّ فراراً. نام نوماً. عرف عرفاناً ومعرفة. وفي الواقع نجد ان اوزان مصدر الفعل الثلاثي في العربية ترتقي

الى نيف وثلاثين . ولبعض الافعال ثمانية او عشرة مصادر . فان فعل ودّ مثلاً مصدره: وَدّاً ، وُدّاً ، وِدّاً ، وَداداً ، وُداداً ، وِدادا ، وَدادة . مَوَدّة ، مَوْدِدَة ، مَودودة .

اما في السريانية فلا يوجد شيء من هذه الغرائب البتة . فان مصدر افعالها الثلاثية كافة ليتبع قاعدة معلومة ثابتة لا يحيد عنها قيد شعرة ويسري حكمها دون شذوذ الى جميع الافعال من اي نوع كانت معتّلة او مهموزة او صحيحة او سالمة الخ... والوزن هو قْطَالاَ : قتل (سالم) نفَاقا : خرج (نوني) بْزَازَا : نهب (مضعف) رمايا : رمى (ناقص) قْياما : قام (اجوف) . يلاذا : وَلَدَ (مثال) .

ثم ليقل لنا علماء العرب اقصد منهم الذين لا يلمون باللغة السريانية كيف قُلبت التاء طاءً ودالاً في فعلي اصطنع وازدحم وامثالهما . لان الوزن العربي هو افتعل بالتاء وليس بالطاء او بالدال. ألا فليعلموا ان ذلك جاء مجاراة للغة السريانية التي تقلب فيها التاء طاءً ودالاً مع الاحرف الصافرة المجانسة .

الى هنا بحثي في الصرف العربي . وكان بودي ان افيه حقه من التمحيص والتحليل لكن ضيق المجال حال دون رغبتي وعليه فاني اختم هذا العرض مع علمي باني لم آتِ الا على نتف لا تلقي نوراً كافياً على الموضوع.

ثانياً النحو

قد سبقت فقلت ان النحو هو المعضلة بل الطامة الكبرى في العربية . وقبل كل شيء اسأل ما معنى الرفع والنصب والجر الذي جرى عليه العرب في نحوهم . وكيف يكون : المؤمنون مثلاً او الرجالُ في حالة الرفع اذا رجعنا الى معنى فعل رفع . ومؤمنين في حالة النصب والجر معاً . وكيف يكون المنصوب مجروراً في عين الوقت . وما وجه الشبه بين الضمة والرفع وبين الفتحة والنصب وما القربى بين الجر والكسرة (هل لان الشيء الذي يجر اعني يسحب على الارض يعرض للكسر ؟...

الفاعل : اذا كان الفاعل الظاهر مثنى او مجموعاً يبقى عامله اي فعله مفرداً . مثال ذلك : كتب العلماء لا كتبوا . فاين المنطق في هذا . وفي اية لغة يأتي الفاعل جمعاً وفعله مفرداً اللهم الا في اللغات غير الناضجة التي يتساوى في افعالها الجمع والمفرد . كاللغة الانجليزية . وتعكس الآية فيقال : العلماء كتبوا بجمع الفعل . فكيف يبرر هذا الانقلاب . ان العرب يبنون ذلك على الفلسفة ويقولون . ان العلماء في المثل الاول فاعل وفي الثاني مبتدأ . وماذا يا ترى افادنا هذا الشرح . فان من الواضح المؤكد الذي لا يشوبه ريب ان الفاعل الحقيقي اعني صاحب عمل الكتابة

في كلا المثلين هو العلماء تقدّم الفعل او تأخر . ولا عبرة بادعاء جهابذة النحويين العرب انه لو قيل : كتبوا العلماء لاجتمع فاعلان اي الواو في كتبوا والعلماء لفعل واحد . وهذا لا يجوز . فما هذه السفسطات . فان الواو علامة جمع الفعل ليس الا . وان ادعوا بعكس ذلك انها ضمير فكيف ساغ لهم ان يجمعوا الاسم وضميره في صعيد واحد اي في عين الوقت والكلام . كما في : العلماء كتبوا . على ان النحو العربي قد اتى اجسم من هذا . فهو يجيز تأنيث فعل الاسم المذكّر فيقال : كتب او كتبت العلماء . مع التفلسف بالطبع .

كان واخواتها : يكون اسم كان مرفوعاً وخبرها منصوباً : كان الرجل تقياً . فاي منطق يقبل هذا وكيف يجيز الذوق السليم ان تكون الصفة كيفما دُعِيت على غير حالة الموصوف العائدة اليه فيختلف كل عن صاحبه في الوضع والاعراب . تجيبون ان اللغة العربية انزلت هكذا . حسناً . ولكن لا تقولوا لنا انها مبنية في قواعدها على المنطق والفلسفة . فان هذا الادعاء غير وارد وان هو الا فرية . قل ذلك ايضاً عن انّ واخواتها .

واين المنطق في ان يكون قاضٍ في حالة الرفع : جاء قاضٍ . وفاضلاتٍ في حالة النصب رأيت فاضلاتٍ . وما وجه الفلسفة في ان تكون الصفة على وزن فعلان او افعل غير منصرفة

فتقول: رأيت رجلاً سكران. واشتريت كتابا جميلاً احمر. وان تكون كذلك الاسماء التي على وزن مفاعل ومفاعيل غير منصرفة فتقول : دخلتُ مساجِدَ عديدةً نظرت فيها مصابيحَ نادرةَ . ومن يفرّق بالضبط بين الحال والمفعول لاجله والمفعول المطلق والتميز في بعض التعابير . قد حضرتُ يوماً مجمعاً ضمّ عدداً من المتضلعين من لغة الضاد وكان الجدال حاميَ الوطيس يدور حول هذه الجملة : قال هذا طبعاً لان الامر يهمهُ . فعلامَ يا ترى نصبت كلمة : طبعاً . فمن قائل انها نصبت على التميز ومن قائل انها نصبت على الحال وثالث يصيح بل انها منصوبة للمفعول المطلق . فاحكموا .

اما طالب اللغة السريانية فانه خُلو من جميع هذه المشاكل والمتاعب التي لا محل ولا مبرر لها . فانه يمضي في دراسته آمناً ناعم البال لا يتعثر بشيء غير مألوف يوقفه في مسيره او يردعه قل ينفره من البحث الذي بين يديه .

اكرر اني حباً بالاختصار لم آتِ الاعلى ذكر نزر من عجائب النحو العربي والا لاستغرق بحثنا اياماً بل اسابيع دون ان يغنينا فتيلاً . وقد قال احدهم ان كَل فصل او باب من ابواب النحو العربي وحده دون الصرف يعادل مجموع قواعد اللغة الايطاليـــــة البديعة . والآن اتطرّق الى فخر اللغة

العربية اعني الى افخر واشهر ما لديها: الشعر. وقد يكون ان النحس ملازمني ويأبى الا ان يبيدني حتى اهب اليوم لمحاربة الشعر العربي وتقبيحه وهو صنم يعبده الكل. ولا اجهل ان موقفي هذا من الشعر العربي قد يستصرخ الانبياء ويستنزل عليّ القصاص اعني حكم الاعدام. وان اعدامي سيكون رجماً بالحجارة او لا اقل من السلق بالسنة حداد. ولكني توكلت على الله وحضرت هنا على وجهكم ومن ثم فسامضي في طريقي الى النهاية مهما نالني من مكروه.

هل يوجد شعر عربي؟. اني لا اعتقد ذلك. وكل ما في الامر ان ثمت ابياتاً ومقصوصات تقع تحت النظم وان احببتم ان ثمة نظماً. اما الشعر الحقيقي فانه معدوم في لغة الضاد مهما طبل اهلها وعاندوا وفاخروا.

ما هو الشعر؟. الشعر هو الحس الشديد البليغ المتدفق الى الخارج. او هو فكرة سامية مع عاطفة عزيزة تُخلق بل تهبط كالوحي في صدر احد فتهزه هزاً في وجوده وهي لشدتها وطفوحها لا تلبث ان تشق لها طريقاً الى الخارج فتتدفق بشكل نشيد فصيح يلعب بالقلوب والنفوس. وعليه فان الشعر ليفعل مفعوله ويؤثر في الغير وجب الا يلتقي في مسيره حواجز وعقبات تكبح من فورته او تقضي عليه قضاءً. وهذا ما يحدث للشعر

العربي . فانهم قد وضعوا كل ضروب العراقيل في طريقه وغلّوه باصفاد وابهظوه باثقال بهذا المقدار حتى ان الشعور ليموت في صدر صاحبه دون ان يتمكن من البلوغ الى الغير وهزه. والعراقيل او الاغلال هي تلك الاوزان المختلفة وتلك القيود الجائرة المتعددة التي تبهظ كاهل الشعر العربي وتفقده الحياة والحركة: من بحر ومن حرف متحرك او ساكن. طويل او قصير الى قافية عديمة الذوق والشفقة. آهاً من القافية . فانها اللطمة الكبرى للشعر العربي تقتله ولا تبقي عليه . وبالحقيقة ما الذي يقدر ان يفعله الشاعر العربي المسكين. انظروه يحرق دماغه في اخراج شعوره او الفكرة المختلجة في فؤاده الى الخارج فيجد بغتة نفسه امام الحرف المتحرك فيتغلّب عليه ويداهمه ساكن او مشدّد فيظفر به ايضاً حتى تصدمه حركة طويلة او خفيفة وقد يمكنه الانتصار عليها ايضاً ولكن كيف الافلات من القافية الواقفة له بالمرصاد. القافية التي يجب ان تسود بالحرف الواحد في نهاية كل بيت من اول القصيدة الى آخرها . فهنا يرتطم الشاعر على صخرة تحطم قواه اعني فكرته تحطيماً . وفي الواقع ان القافية هي السيدة والآمرة في الشعر العربي تتحكم بما سواها ويخضع الكل لمشيئتها . فعبثاً يهبط على الشاعر من الفكرات اسماها او ينفجر في صدره من العاطفات اسخاها .

فانّ عليه ان يرضي قبل كل شيء القافيـة التي تنتظره في الآخر. فلا عجب اذا غيّر الشاعر العربي فـكرته عشرين دفعة او لوّن شعوره عشرين اوناً ليطابق بينهما وبين حرف القافية المتربص له في الآخر. هذا اذا افلح في التوفيق بينهما. ومـا اكثر ما يحدث ان يخفق الشاعر تماماً في مسعاه وبعد اخذ ورد طويلين مملين يجد نفسه مرغماً على التضحية بفـكرته او عاطفته والاقلاع عنها نهائياً لعدم ائتلافها مع القافيـة الغاشمة. فهـذا حرام وهو جريمة. ولا يندر ان يخلق الشاعر العربي بغية البلوغ الى مرماه قواعـد جديـدة او يتحدى جميع قواعـد الصرف والنحو فيذكّر مؤنثاً ويؤنث مذكّراً ويبدل الجمع بالمفرد وبالعكس او يستنبط اوزاناً وصيغاً لم يَقل احد بها في عالم الضـاد. وكل ذلك لحاجة في نفسه اعني ارضاءً للقافيـة. وقـد يحدث عنـد تعـذّر ايجاد القافية الملائمة ان يُقفي الشاعر العربي اشياء تنفر من بعضها او لا يجمع بينهما لا نسب ولا قُربى. فيُقفي الاسماء مع الافعال والصفات مع الموصوفات او الافعال والموصوفات مـع الحروف. مثال ذلك لا يبعدُ ان تجد في آخر شعر: عالي. وفي آخر الشعر اللاحق: ابن خالي. وفي التابع: فِعالي: وفي اللاحق: تعالي. وفي الذي يليـه: لك ولي. فلا عجب والحالة هـذه اذا ولد الشعر العربي مسوخاً لم تـكن لتدور في خَلدِ احد. وفي

الواقع ان معظم الدواوين او القصائد العربية اسرار او احاجي لا يفك طلسمها غير السحرة او المرجمين بالغيب. ولا اقصد هنا القدماء من شعراء لغة الضاد بل حتى العصريين منهم.

واية قيمة يا ترى للشعر الذي عوضاً عن ان ينفجر فوراً في صدر صاحبه ويبلغ في الحال السامعين ويهزهم اقول اية قيمة له اذا كان الشاعر بعكس ذلك يرى نفسه مكرهاً على سلخ ايام بل اسابيع بكاملها لوضع قصيدته التي قد لا تتعدى صفحة واحدة ويسلخ القارىء كذلك اياماً لفهمها. هذه حقائق واقعية لا يجوز تجاهلها الا اذا كان ثم سوء نية وقصد ثابت في المغالطة والتمويه.

وان ما شرحناه هنا من المحاذير والعراقيل التي تقتل الشعر العربي لا نجده ابداً في السريانية او الفرنسية. خذ مثلاً راسين او كورنيل او فيكتور هوغو. فاني لعلى يقين من انك بظرف دقيقة واحدة يمكنك ان تتلو بلذة وبدون تعب فكر صحيفة كاملة لاي كان من هؤلاء الشعراء الفرنسيس وانك لتأتي على آخر المصنف وما لقيت غير اللذة والانشراح. وهذا عينه تجده عند شعراء السريان. ان للشعر السرياني وزناً بل اوزاناً وقواعد لا يجوز الخروج عليها. غير ان قواعده سهلة المأخذ وقريبة المنال بهذا المقدار حتى ان الشعر عندهم يتدفق تدفقاً ويلذ واضعه وسامعه على السواء وانك لتتلو مصحفاً كاملا

من منظومهم دون ان تشعر باي نصب او سآمة .

اعود واصرح ان عند العرب نظماً دقيقاً محكماً ولكن الشعر الحقيقي لا وجود له عندهم الا في ما ندر جداً من الاحوال وعند ذوي القرائح من كتّابهم . وليس معنى قولي ان الفكرات الساميات والشعور الفياض والعاطفة النبيلة معدومة عند العرب. ما اقصده ان القيود التي يغل بهـا العرب شعرهم تخنق الفكرة وتقتل الشعور عندهم. وبعبارة اخرى ان الاداة الناقلة لفكرهم وشعورهم غير صالحة وهي التي تحجر على فكرهم وتجعله بعيد المنال بطيء التأثير عديم الانسجام .

الخاتمة

قد انتهى بحثي يا اخوان. وان كنت قد ظلمتُ اللغة العربية فغمطت لها حقاً او هضمت لها جناحاً جوراً فأعدموني. ولكن ان كنت قد اديت خدمة فكشفت حقيقة لوجه الله والعلم فسامحوني بل شجعوني. ورب معترض يحاجني باني اكره لغة الضاد. اجل اني اكرهها بل امقتها لسببين الاول لانها دحرت لسان ابائي لسان جدودي بل لسان مسيحي ومعبودي. والثاني لان لغة الجزيرة قد احتلت بعد الفتح العربي مكاناً رفيعاً وتبوأت عرشاً جليلاً هي غير اهل له. ومن يعلم ان مغير الازمان لا يغير يوماً القلوب والاحوال فيرد الى اللغة الآرامية العز الباذخ الذي كانت عليه في غابر الايام في هذه الديار. اما ان اللسان الآرامي كان في السابق لغة سكان لبنان وسوريا فتقوم على ذلك الف بينة وبينة اكتفي الساعة بذكر اسماء طائفة من مدنكم وجهاتكم كعينطورا واشطورا وبكركي وبيت مري وبرمانا ورشميا وقاديشا ورشعين وبقوفا وتنورين وحنينا وفالوغا وقنشرين ودلبتا وغيرهن كثيرات علاوة على مئات من عبارات سريانية لا تزالون تستعملونها الى اليوم كعدّان وشرش وناطور

وشليطا ومار وامثالها(١). هذا فضلاً عن انه ليس ثمة دليل او شبه دليل من اي نوع كان يشير الى عروبة سكان لبنان بمعنى انهم متحدرون من اقوام نزحوا عن فيافي جزيرة العرب وحلوا في هذه الربوع في سالف الزمان. فهذا ادعاء اذا تقدم به احد يرده التاريخ ويرسله في الفضاء هباءً منثوراً. ومعلوم ان سكان لبنان الشمالي من اهدن وبشرّي وحصرون وغيرها كانوا الى قبل نحو مئتي سنة خلت يتكلمون بالسريانية.

ولكن اذا كان قد قدّر على اللغة الآرامية البديعة: هذه اللغة التي انزل فيها اقدس المقدسات ووضع فيها افخر المنظومات والمنثورات ولهج بها سيد الكون ومنقذ البشرية. اقول ان كان قدر عليها الانقراض والزوال مؤبداً مدى الدهور فيا لهفي ولا عشتُ بعدها.

. . . .

. . . .

---

(١) معنى عينطورا: نبع الجبل. اشطورا: اسفل الجبل. بكركي: خزانة الملفات او الكتب. بيت مري: بيت النبيذ. برمانا: بيت الرمان. رشميا: راس المياه. قاديشا: القديس. رشعين: راس العين. بقوفا: بيت القرد. تنورين: التنانير. حنينا: العفن. فالوغا: القاسم الفاصل. قنشرين: عش النسور. دلبتا: الوكف. عدان: الوقت المعين. شرش: عروق الشجرة. ناطور: الحارس. شليطا: الحاكم. مار: السيد.

ما هذه الحالة يا امة السريان . مـا بالكم خذلتم لسانـكم وملتم عن لغتـكم بل رفعتم عليها عقيرتـكم . فما قولك في هـذا يا تبوني العظيم . يا خليفة رحماني الملفان بطل تتويج افرام الملفان. اننا نشكر لسالفك جزيل فضله على الآرامية بتنصيبه افرامنا استاذاً دوكتوراً عـلى المشرق والمغرب . ولكن ما نفـع هـذا التنصيب وليس بـين قوم المعلم من يأبه لتـآليفـه ويعبأ بلغتـه . وانت يا عريضه القهار يا مرجع السريان الاخير ويا من على جبله معقود جل ما بقي من الآمال الآرامية فما رأيك . وانت يا برصوم العلامة . فما الفائدة من علمك وقد درست لغتك وقضي على لسان ابائك . وانت يا عمانوئيل الداهية . يا شبل بابـل وخلف من حضروا المشرق . فحتى مَ .

قـد ماتت لغتـكم يا كرام النـاس . افـكرتم في الامر ماتت وقد دفع جدود كم عنها الغوائل . وذادوا عن حياضها في النوازل . حفظوها بل عظموها وذلك ابان استفحـال الارهاق وفي مهب اعاصير الظلام والارهاب : بين براثن التتر وتحت سياط المغول . وما حجتـكم او عذركم في الاعراض عن لغتـكم . ألان الظروف تفرض عليكم لغـات أخر انتم احوج إليهـا . ولكن اباءكم كانوا يمارسون لغتهم ويتقنون في عين الوقت العربية مثلكم وكانوا يحسنون اليونانية او الفارسيـة كما تحسنون الفرنسيـة

او اللاتينية . ان اباءكم اعتصموا بحبل لغتهم لانهم احبوها ولانهم فهموها فتركوها لكم تراثاً مقدساً حراماً . اتموت بين ايديكم وانتم بالعز رافلون وبالحريات ناعمون . وهي دساتير البلاد تفسح لكم بل تفتح الباب على مصراعيه امامكم للمحافظة على تقاليدكم ولسانكم . عاشت لغتكم ومدنت الشرق وتدفقت الى الغرب وذلك في يوم عسر وفي يوم شدة وتموت في عصر النور والرخاء. لا يكن هذا يا قوم لئلا يسجله التاريخ علينا ذلاً وشناراً . احتفظوا بلغتكم لان بها مرهونة مقدساتكم . فاحموها حباً بها او اقراراً بفضلها او كرامة لمن نطق فهدى العالم الى سواء السبيل على نغمات الفاظها . . . .

اني **اقترح** عقد مؤتمر عام يضم نخبة من علماء الطوائف السريانية الاربع وتكون الغاية منه درس الطرق والوسائل الناجعة لتجديد لغة الاسلاف المقدسة واعلاء شأنها .

وانت اللهم فانصف لسان مسيحك وآياتك . فانك سميع كريم .

قنبلة الاب بيداري

بين الآراميـة والعربيـة

هي المحاضرة التي القاها في بيروت في ٢٠ تشرين الاول سنة ١٩٣٦

الاب بولس بيداري الكلداني الاشوري

وحلل فيها لغة الضاد تحليلاً علمياً دقيقاً

١٩٣٦

تطلب من المكاتب ومن مطبعة الآباء الكبوشيين - بيروت